﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾ [الأعراف: 70]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ذكرُ جوابِ قومِ هودٍ بعدَ دعوتِهِ إيَّاهم، وإقامته الحجَّة عليهم

لمّا ردَّ هودٌ عليه السلام على قومه ردًّا مُقنِعًا حكيمًا، كان المُتوقَّع من ورائِهِ أن يستجيبوا له، وأن يُقبلوا على دعوتِهِ، فلا بُدَّ لِكُلِّ سامعٍ مُنْصِفٍ من المبادرةِ إلى الإذعانِ لهذه الحُجَّةِ القطعيَّة، وهي استحقاقُهُ سبحانه للإفرادِ بالعبادة، للتَّفرُّد بالإنعامِ - ازداد تَشَوُّف المخاطب إلى جوابهم[1]. ولكنَّهم لسوءِ تفكيرِهم، وانطماس بصيرتِهم، أخذتْهُمُ العِزَّةُ بالإثم، فقالوا لنبيِّهم ومُرْشِدِهم مُجادلين: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾[2]؟ فهي جوابٌ بعد الجوابِ المذكور، حكاية عنهم في قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾ [الأعراف: 66].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَنَذَرَ﴾: نترُك ونَدَع، من وذِرَ يَذَرُ، وقد أماتتِ الْعَرَبُ ماضيَهُ ومصدرَهُ، فإذا أُريد الْماضي، قيل: تركته، فلا يَقولونَ: وذَرْتُهُ، ولا يستَعْمِل مِنْهُ اسْم فاعل، ويَذَرُ الرَّجُلُ الشَّيءَ يتخلَّى عنه مع إهماله لعدم الاعتناءِ بشأنه[3]. ومنها في القرآن بصيغةِ المضارعِ: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ١٠٦﴾ [طه: 106]، أي: يترك الجبالَ كالمنبسطات المستويَةِ الواسعة، وبصيغة الأمر: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة: 278].

2) ﴿تَعِدُنَآ﴾: تُهدِّدُنا، والوعدُ يكون في الخيرِ والشَّرِّ، يقال:

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/440.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2885، والطّنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 5/305.

(3) الفراهيديّ، العين: (ذرو، وذر)، وابن عبّادٍ الطّالقانيُّ، المحيط في اللُّغة: (ذرو، وذر)، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والسَّمين الحلبيُّ، عُمدة الحُفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤَصَّل: (وذر).

وَعَدْتُّهُ بِنَفعٍ وضُرٍّ أعِدُه وَعْدًا ومَوْعِدًا وميعادًا[1]، وأصلُ (وعد) يدلُّ عَلَى تَرْجِيَةٍ بِقَوْلٍ[2]، ومن الوعدِ بالشَّرِّ قولهُ تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحجّ: 47]، وإنَّما كانوا يستعجلونه بالعذابِ، وذلك وعيد[3].

والمعنى هنا: فائْتِ بالَّذي تُهَدِّدُنا بهِ، وَتُخَوِّفُنا به[4]، قال أبو عَمْرِو بنُ العلاء: "إنَّ العربَ لا تَعُدُّ عارًا ولا خُلْفًا أنْ تَعِدَ شرًّا ثمَّ لا تفعلُه، ترى ذلك كَرَمًا وفَضْلًا، وإنَّما الخُلْفُ أن تَعِدَ خيرًا، ثمَّ لا تفعلُه"[5].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

ردُّ قومِ عادٍ على نبيِّهم بالاستهزاءِ، وجدالُهُمْ له بالباطلِ المقيتِ

قال قومُهُ له: أدَعَوْتَنا - يا هودُ - لعبادةِ اللّهِ وحدَهُ وهَجْرِ ما كان يعبدُهُ آباؤنا من الأصنامِ، فائتِنا بالعذابِ الَّذي تخوِّفُنا به، إنْ كنتَ من أهلِ الصِّدقِ فيما تقول[6]! والآيةُ تعبيرٌ عن شدَّةِ عنادِهم وإصرارِهم على الشِّركِ المستَنِدِ على حُجَّةِ التَّقليدِ، والثِّقةِ فيما كان عليهِ الآباءُ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ شبهِ كمالِ الاتِّصالِ في قولهِ: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا﴾:

إسعافُ المتدبِّرِ بالجوابِ عمَّا فعلتْهُ البراهينُ بالكشفِ عن عنادِهم عاجلًا

الآيةُ السّابقةُ حجَّةٌ باهرةٌ، وبرهانٌ قاطعٌ على تفرُّدِهِ (سبحانه) بالألوهيَّة، واستحقاقِهِ العبوديَّةَ، وقد " ازداد تشوُّفُ المُخاطَبِ إلى جوابِهم، ولمّا لم يكن من القومِ جوابٌ عن هذه الحُجَّةِ الَّتي ذكرها إلّا التَّمسُّك بطريقةِ التَّقليد[7]، ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾، فجيءَ

(1) الرّاغب، المفردات: (وعد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (وعد).
(3) السَّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (وعد).
(4) محمّد الجاوي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: 1/380، والهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 9/393، والشّنقيطي، العذب النّمير: 3/492.
(5) الواحديّ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد: 3/492.
(6) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 216، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 159، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المُخْتَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 159.
(7) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/302 وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/239.

بالفصلِ لشبهِ كمالِ الاتِّصال بَيْنَ الجملتين؛ لكونِ سياقِ الآياتِ جاءَ على طريقةِ المحاورة، فالجملةُ عن سؤالٍ أثارتْهُ الجملةُ السّابقَةُ تقديرهُ: (ما كان جوابُ قومِ هودٍ على هذه الحُجَجِ الباهرة، والبراهينِ السّاطعة؟).

بلاغةُ الاستفهامِ الإنكاريِّ:

قولُهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ على دَعوتِه للتَّوحيدِ، واستبعادٌ لمجيئِه ﷺ - بذلك، ومنشؤُهُ انهماكُهم في التَّقليد والحبِّ لما ألِفوهُ، وألفَوْا عليه أسلافهم[1]، فجاوبوا هودًا بما أنبأ عن ضياع حجَّتِهِ في جنبِ ضلالةِ عقولِهم، ومكابرةِ نفوسهم[2].

ضـلالُ العقولِ ودوافـعُ الكبرِ، لا ينـفعُ معها برهانٌ

غرضُ التَّنَزُّلِ في الجوابِ من قولهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ إلى قولهم: ﴿أَجِئْتَنَا﴾:

قولُهم: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ هذا الجوابُ أقلُّ جفوةً وغلظةً من جوابِهم الأوَّل؛ إذ قالوا: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: 66] كأنَّهم راموا استنزالَ نفسِ هودٍ، ومحاولةِ إرجاعِه عمّا دعاهُم إليهِ، فلذلكَ اقتصروا على الإنكار[3]، "والظَّنُّ هُنا على مَعْناهُ، فلَوْ قالوا: إنَّهم يَعْلَمونَ ذَلِكَ؛ لَكانوا كاذِبينَ على أنْفُسِهِمْ فيما يَحْكُمونَ مِن اعْتِقادِهِمْ، وأمّا حُكْمُهم عَلَيْهِ بِالسَّفاهَةِ؛ فكانَ على اعْتِقادٍ باطِلٍ مِنْهم، ولِذَلِكَ عَبَّروا عَنْهُ بِالرُّؤْيَةِ الَّتي بِمعنى الاعْتِقادِ"[4].

الظَّنُّ بكذبِهِ في دعوتِهِ جاء على حقيقتِهِ ظنًّا؛ لأنَّـــهُ محـضُ أباطيلَ

دلالةُ لفظِ (المَجيءِ) بين الحقيقةِ والمجازِ في قولِه: ﴿أَجِئْتَنَا﴾:

الأصلُ في لفظِ (المجيء) في قولِهم: ﴿أَجِئْتَنَا﴾ أن يكون حقيقةً بكونهِ متغيِّبًا عن قومهِ منفردًا بعبادة ربِّه، ثُمَّ أرسله اللّٰهُ إليهم، فجاءهم من مكان مُتَغَيَّبِه، والأبرُّ بالسّياق أن يكون قولُهم ذلك على

الزِّيادةُ في الإنكارِ عليهِ وتسفيهُهُ بسببِ اهتمامِهِ بدعوتِهم

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 4/395.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/207.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/207.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/442.

سبيل الاستهزاءِ والتَّهكُّم؛ لأنَّهم كانوا يعتقدون أنَّ اللَّهَ لا يُرسل إلّا الملائكة، فكأنَّهم قالوا: (أجئتنا من السَّماء كما يجيء الملَك)، وذلك لا يرادُ حقيقةُ المجيءِ، ولكنَّ المرادَ التَّعرُّض والقصد[1]، فهو مستعمَلٌ على سبيلِ المجازِ المرسَل، والعلاقةُ السَّببيَّة؛ إذِ القصدُ إلى المجيءِ سببٌ للمجيء[2]، فكأنَّ قومَ هودٍ قالوا: أقَصَدْتَنا لِنَعْبد الله وحده، وتعرَّضت لنا بتكاليف ذلك[3]. أو يكون ﴿أَجِئْتَنَا﴾ مستعارًا لـ(قصدتنا)؛ زيادةً في الإنكارِ عليه وتسفيهِهِ على اهتمامهِ بأمرٍ مثلِ ما دعاهُم إليهِ[4].

دلالةُ القيدِ بالحالِ في قولهِ: ﴿لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾:

قيَّدوا إنكارَهُم العبادةَ بأن تكونَ للّهِ وحدَهُ، ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾، انهماكًا في التَّقليد، وحبًّا لما أَلِفوه، وأَلِفوا أسلافَهم عليه[5]، كأنَّهم يقولون: أنترك آلهةً كثيرين إلى إلهٍ واحدٍ؟ أو أنترك عبادةَ الجمع إلى الواحدِ، وفي الجمع قوَّةٌ وسَعةٌ؟ لذا جاء القيدُ بالحال، وقد كان المنطقُ أن يعبدوا اللّه وحدَهُ، لا أن يعبدوا الشُّركاءَ الَّذين لا ينفعونهم، ولا يضرّونهم، ولا يسمعونهم[6]، وكلُّهُ تأكيدُ البقاءِ على التَّقليد.

تعـدُّدُ الآلـهـةِ يـغـري غـيرَ العقلاءِ بالتَّقليدِ

سرُّ العدولِ عن المصدرِ الصَّريحِ (العبادة) إلى المصدرِ المؤوَّل (لنعبد):

﴿لِنَعْبُدَ﴾ مضارعٌ منصوبٌ بأن المضمرة[7] بعد لامِ التَّعليل، ومن المتقرِّرِ عند علماء اللُّغة أنَّ دخولَ (أن) المصدريَّةِ على المضارع، يجعلُ الفعلَ المضارع يدلُّ على الاستقبال، فتؤثِّر على زمانِ المُضارع؛

إفـادةُ معنى الاستقبالِ معَ تجـدُّدِ الفعلِ واستمرارِهِ

(1) الشِّهاب الخفاجيّ، عنايه القاضي: 4/181.
(2) القونويّ، حاشيَته على البيضاويّ: 8/422.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/88، وابن التّمجيد الحنفي، حاشية ابن التمجيد على البيضاويّ: 8/422.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/208.
(5) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 2/117، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/239.
(6) الشَّعراوي، تفسير الشَّعراويّ: 7/4211.
(7) وتسمّى أنْ المصدرية، هي الَّتي تؤول مع الفعل الَّذي بعدها بمصدر يعرب حسب موقعه من الجملة.

لأنَّها تخلِّصُ المضارعَ للزَّمن الاستقبالي، فحالُهم الشِّرك، وهو يدعوهُم أن ينتقلوا من عبادةِ الشِّركِ في الحالِ إلى التَّوحيد في الاستقبالِ، وهو ما يفيدهُ المصدر المؤوَّل، ولايفيده المصدرُ الصَّريح، ثم إنَّ العبادةَ فعلٌ، فعبَّرَ بالفعل.

علَّةُ استنكارِهِم عبادةَ (الله وحده) دونَ الرَّبِّ أو صفةٍ أخرى:

بيانُ عدمِ جَحْدِهِم للرُّبوبيَّة، وأنَّ شِركَهم كان في الأُلوهيَّةِ

ظاهرُ قولِهم: ﴿وَحْدَهُۥ﴾ أنَّهم أنكروا أن يتركوا أصنامَهُم، ويُفردوا العبادةَ للّهِ، مع إقرارِهم بالإلهِ الخالقِ المبدع، كما هو شأن عُبّادِ الأوثان كلِّهم، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: 61]، ولا يجحدُ ربوبيَّةَ اللّه – تعالى – من الكفرةِ إلّا مَنْ أُفرطت غباوتُه، أو مَنِ ادَّعاها لنفسهِ، كفرعون ونمرود[1]، لذا كان اسمُ الجلالة هو الأدلَّ، وبالسّياق أبرَّ.

دلالةُ العطفِ في قولِهم: ﴿وَنَذَرَ﴾:

تعليلُ إنكارِهم إفرادَ اللّهِ بالعبادةِ

قولُهم: ﴿وَنَذَرَ﴾ هذا استبعادٌ منهم لاختصاص اللّه بالعبادةِ، وكيف يتركون ما ألفوا عليه آباءهم مِنَ الشِّرْكِ[2] ؟ فلمّا كان هذا منهم في غايةِ العجبِ المستحقِّ للإنكار، أتبعوه ما هو كالعلّةِ لإنكارِهم عليه ما دعاهُم إليه[3]، ولأجلِ هذا الإنكارِ، استخدموا لفظ (نَذَرَ)؛ إذ الإذراء: أن يتخلَّى عن الشَّيء مع إهمالِه؛ لعدم الاعتناءِ بشأنِه، يقال: فلانٌ يذرُ الشَّيء، أي: يقذفُه لقلَّة اعتدادِه به[4]، فجعلوا تركَهم عبادةَ أصنامِهم بمَنزلَةِ إهمالها، وعدم الاهتمام بها، وهذا ما تأباهُ نفوسُهم، وتستعظمُه.

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/302.
(2) الدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 3/542.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/440.
(4) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللُّغة، والسَّمين الحلبيُّ، عُمدة الحُفّاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤَصَّل: (وذر).

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بالموصولِ دونَ الاسمِ الصَّريحِ:

التَّنبيهُ على أنَّ أكثرَ المعبوداتِ من الأوثانِ ممَّا لايَعقلُ

عبَّروا عن معبوداتهم بقولهم: ﴿مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾؛ وذلك لأنَّ غالب ما عُبد من دون الله مِنَ الأصنامِ ونحوها ممّا لا يعقلُ مِنَ المعبوداتِ؛ إذ إنَّ (ما) يُراد بها ما لا يعقلُ، وهذا على وجه التَّغليب؛ لأنَّ أكثر ما يُعبد من دونِ الله لا يعقل[1]، وهذا هو الَّذي اقتضى التَّعبير عن معبوداتِهم بطريقِ الموصوليَّة[2]، وقد "كان المنطقُ أن يعبدوا اللَّه وحدهُ لا أن يعبدوا الشُّركاء الَّذين لا ينفعونَهُم، ولا يضرّونهم، ولا يسمعونهم، بل إنَّ الواحدَ منهم كان يرى الهواء يهبُّ على الصَّنم، فيميل الصَّنمُ، ويقع على الأرض، وتنكسرُ رقبتُهُ، فيذهب إلى الحدّاد، ليعيدَ تركيب رأس جديدٍ للصَّنمِ، فكيف يُعبدُ مثل هذا الصَّنم؟"[3]. وعليه فإن بلاغة استخدام الموصول (ما) هو إقرارهم على أنفسهم دون أن يشعروا أنّهم يعبدون جمادات لا تعقل، ولا تضرّ، ولا تنفع.

سرُّ الإضافةِ إلى ضميرِ الجمعِ في قولهِ: ﴿يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾:

تـعـريـضُـهُـم بتسفيهِ النَّبيِّ (هـود) لآبـائـهِ بتسفيهِ آبائِهم

ذكَّرَ قومُ هودٍ هودًا بأنَّ الأمرَ الَّذي أنكرهُ هوَ دينُ آباء الجميع، وفي هذا لون بلاغي؛ ألا وهو التعريضُ: فكأنَّهُ سفَّه آباءه؛ إيماءً إلى وجهِ الإنكارِ عليه، وإلى أنَّه حقيقٌ بمتابعةِ دينِ آبائِهِ، وهذا لونٌ من سفاهةِ دعاويهم، وقلبهم للحقائقِ والمفاهيم، وهم في هذا يصدقُ عليهم قولُ اللهِ تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: 103 - 104]. وفيه أيضا اعتزاز أهل الباطل بباطلهم؛ تأمل كيف يفتخرون بأن آباءنا كانوا يعبدون غير الله!

(1) القنوجي، فتح البيان: 7/93، والعُليمي، فتح الرحمن: 2/540.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/207.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراوي - الخواطر: 7/4211.

فائدةُ ذكرِ (كان) في قولِهِ: ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾:

بيانُ قِدَمِ عِبادتِهم للأصنامِ، وتأصُّلهم في هذا الضَّلالِ

اجتلابُ (كان) في قولهم: ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ﴾، لتدلَّ على أنَّ عبادَتَهم أمرٌ قديمٌ، مَضَتْ عليه العُصورُ[1]، " وهكذا يذهب بهم الغلوُّ في الكفرِ إلى درجةِ أن يعتبروا أمرًا نُكْرًا يستحقُّ الاستنكارَ، أن يعبدوا اللّه، ويتركوا ما كان عليه آباؤهم"[2]، على اعتبارِ أنَّ قِدَمَ الزَّمنِ مُسَوِّغٌ لهم أن يفعلوا ذلك، وهذا ملمحٌ من الاعتقادِ، لا دخلَ للتَّقادُمِ فيه.

سِرُّ التَّعبيرِ بالمضارعِ في قوله: ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾:

استحضارُ حالِ آبائِهم، في مواظبتِهم على عبادةِ الأصنامِ

التَّعبيرُ بالفعلِ وكونه مُضارِعًا في قوله: ﴿يَعْبُدُ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ ذلك مُتكرِّرٌ مِن آبائهم ومُتجدِّدٌ، وأنَّهم لا يَفتُرون عنه[3]، ففي هذا إشارةٌ إلى تصوير آبائهم في حالهم ذلك - ليحسنَ في زعمِهم إنكارُ مخالفتِهِ لهم[4]، وكأنَّهم ماثلون أمامهم، وإنكار ما هو حالٌّ وقائم، صعبٌ تقبُّلُه، فكأنَّ في التَّعبيرِ إسنادًا لحجَّتِهم.

دلالةُ الفاءِ في قولِهِ: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾:

بيانُ استعجالِ العقوبةِ، واحتقارِهم أمرَ النُّبوءَةِ

والفاءُ في قوله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، لتفريعِ طلبِ تحقيقِ ما توعَّدهم به، أي: ﴿فَأْتِنَا﴾ عاجلًا، وفيه تصميمٌ على التَّكذيب، واحتقارُ أمر النُّبوءة، واستعجال العقوبة[5]، والعبارة تدلُّ على "أنَّهُ كان يعدهم العذابَ إن لم يصدِّقوه فيما يدعوهم إليه، وترك تقليدِهم آباءهم في عبادتِهم غيرَ اللّه"[6]. فدلّت الفاء على سرعة طلبهم لوقوع العذاب الذي يُخوِّفهم، وفيه كناية على عدم المبالاة التي يُظهرونها، وعلى استخفافهم بوقوع عذاب اللّه.

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/440، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/208.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/2886.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/208.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/440.
(5) ابن عطيَّة الأندلسيُّ، المحرَّر الوجيز: 2/419، والبقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/440.
(6) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنة: 4/476.

سرُّ التَّعبيرِ بالأمرِ المجازيِّ في قولِه: ﴿فَأْتِنَا﴾:

الدّلالةُ على تيقُّنِهم من عدمِ صدقِ الوعيدِ الَّذي يتوعَّدهم به

الإتيانُ بالشَّيء حقيقته أن يجيء مُصاحبًا إيّاه، وهو هنا مستعمل مجازًا في الإحضار والإثبات، واستعمالُ المجاز هنا فيه تعجيلٌ برؤية الوعيد حسًّا، ومرافقته التَّوعُّدَ حقًّا، "فالأمرُ في قولِهم: ﴿فَأْتِنَا﴾ للتَّعجيز؛ تحدّيًا لهود، وإشعارًا له بأنَّهم موقنون بأنْ لا صِدْقَ للوعيد الَّذي يتوعَّدهم، فلا يخشون ما وعدهم به من العذاب"[1].

نكتةُ التَّعبيرِ بالموصولِ (ما) في قولِه: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾:

التَّعبيرُ بالعمومِ والإبهامِ إظهارٌ لتيقُّنِهم بكذبِ الوعيدِ، وعدمِ الخوفِ منه

فائتِنا بما تعدُنا مِنَ العذابِ المُعجَّلِ، و(ما) بمعنى الَّذي، والعائد محذوفٌ، أي: بما تعدناه[2]، أو مصدريَّة، وجيء بالموصول للدَّلالة على أنَّهم لا يخشون شيئًا مِمّا يريده من الوعيد بالعذاب المُجمل، فالمرادُ بما تتوعَّدنا بهِ، وصيغت صلةُ الموصولِ من مادَّة الوعد؛ لأنَّه أخفُّ[3].

فائدةُ استعمالِ الوعدِ في الوعيدِ:

بيانُ استهزاءِ قومِ هودٍ بإنذارِهِ ووعيدِهِ، وأنَّه غير واقعِ البتَّةَ

تسميَتُهم للإنذار بالعذاب وعدًا - في قوله: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ - من باب الاستهزاءِ[4]، والوعدُ الَّذي أرادوه وعدٌ بالشَّرِّ، وهو الوعيدُ الَّذي تضمَّنه قوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: 65]، إذ هو مُشعرٌ بالتَّهديدِ والتَّخويف، ولأجل ذلك لم يعيِّنوا وعيدًا في كلامهم، بل أبهموهُ بقولهم: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾، ويحتمل أن يكون الوعيدُ مفادًا بالتَّعريض في قوله: ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: 69]، المؤذن بأنَّ اللّه استأصلَ قومَ نوحٍ، وأخلفهم بعادٍ، فيوشكُ أن يستأصل عادًا، ويخلفهم بغيرِهم[5]، وفي كلِّ هذا دليلٌ على أنَّه كان يَعِدُهم بعذابِ اللّه إن داموا على الكفرِ[6]، والغرضُ أنَّه إذا لم يأتِهم بذلك العذابِ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/208.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/146.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/226.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/440.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/209.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/89.

ظهر للقوم كونَه كاذبًا، وإنَّما قالوا ذلك؛ لأنَّهم ظنّوا أنَّ الوعد لا يجوز أن يتأَخَّرَ، فلا جرمَ استعجلوه على هذا الحدِّ[1].

سرُّ إسنادِ الفعلِ (تعد) إلى الضَّميرِ العائدِ على هودٍ عليه السلام:

أسندوا الفعلَ إلى ضميرِه في قولِهم: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾، تعريضًا بأنَّ ما توعَّدهم به، هو شيء من مُختَلَقاتِه، وليس من قِبَلِ اللّهِ تعالى[2]، وهذا نوعٌ من رجمهم بالغيبِ، وقولهم على اللّهِ ما لا يعلمون؛ إذ لا دليلَ لهم على ادِّعائهم ذلك، ولا قرينة تؤيِّد قولَهم، وتُبطِل ما جاءَ به وادَّعاه.

التَّعريضُ بتكذيبِهم نبوَّةَ هودٍ عليه السلام

نُكتةُ استعمالِ (إنْ) الشَّرطيَّة في قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

عقَّب قومُ هودٍ كلامَهم بالشَّرطِ، فقالوا: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ استقصاءً لمقدرَتِه، قصدًا منهم لإظهارِ عَجْزِه عن الإتيانِ بالعذابِ، وجوابُ الشَّرطِ مَحذوفٌ دَلَّ عليه ما قبلَه، تقديره: أتيتَ به، وإلّا فلَسْتَ بصادقٍ[3]، كما أنَّ فيه إلهابًا وتهييجًا له عليه السلام، للتَّعجيل بمباشرةِ إيقاعِ العذابِ بهم، وفيه أيضًا إظهارٌ لثقتهم بكذبِه، ويقينهم بذلك.

الشَّكُّ في صدقِ الأنبياءِ شأنٌ عامٌّ في كلِّ الكافرين

سرُّ العدولِ عن قولِه: (إن كنت صادقًا) إلى قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

لأجلِ التَّعريضِ السّابقِ في قولهم: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾، لم يقولوا: (إن كنت صادقًا)، وقالوا: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، ليُشيروا إلى أنَّ في النّاس قومًا صادقين، وآخرين كاذبين، فهو تعريضٌ منهم بتكذيبِه من قبيل الكنايةِ الَّتي هي إثباتُ الشَّيء بإثباتِ مَلزومِه[4]، كأنَّ المعنى: (أنت كذّاب، ولا يمكن بحالٍ أن تُعدَّ من الصّادقين)، وهذا المعنى لايؤدّيه التَّعبير بـ (إنْ كُنْتَ صادقا).

التَّشكيكُ في صدقِه بطريقِ الكنايةِ بإثباتِ الشَّيءِ بإثباتِ مَلزومِه

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/302.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/209.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/209.
(4) ولهذا التَّعريض نظائر كثيرة في القرآن الكريم. يُنظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/322.

غرضُ حذفِ المعمولِ:

حَـذْفُ المعمول بـلاغـة إيـجـازٍ وفصاحةُ بيانٍ

قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ يعني في قولك: إنَّك رسولُ اللّه[1]، أو في أنَّ العذابَ نازلٌ بنا[2]، فحذف المعمولَ لدلالة سياقِ الكلام عليه، وهو لونٌ من الإيجازِ الَّذي يُستغنى فيه عن المعلومِ دلالةً، حتَّى لا يكونَ الإطنابُ بذكره عبئًا على السّياق، وتكون بلاغةُ حذفه خادمةً لبلاغةِ المؤدَّى تحقيقًا للإفصاحِ والبيانِ.

بلاغةُ حذفِ الجوابِ، والدَّلالةُ عليه بما قبلَهُ:

تلويحُهم إليه وإيماؤهم إلى التَّكذيبِ بنبوَّتِهِ ووعيده

قوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، جوابُ (إنْ) محذوفٌ لدلالةِ المذكور عليه، أي: فائتِ به[3]، وإلّا فلست بصادقٍ[4]، أو إن كنت من الصّادقين في الوعيد، فإنَّ مناظرتك لا تؤثِّر فينا[5]. وفي هذا الجوابِ تلويحٌ إليه، وإيماءٌ منهم إلى التَّكذيب[6]، وبهذا اتَّضحَ أنَّه لا أمل في اقتناعهم بالدَّعوة إلى الإيمان[7]. كما أنَّ في الحذف إلماعًا إلى أنَّهم على يقينٍ من كونهِ غيرَ قادرٍ على الإتيانِ، فحذف من القولِ ما لا يمكنُ وقوعُهُ عقلًا عندهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(نَذَرُ) و(نترك):

الإذراءُ: التَّخلّي عن الشَّيء مع إهمالِه؛ لعدمِ الاعتناءِ بشأنِه، يقالُ: فلانٌ يذرُ الشَّيءَ، أي: يقذفهُ لقلَّةِ اعتدادهِ بهِ، ومنهُ الوَذْرَةُ، وهي قطعةٌ من اللَّحم، وتَسْميتُها بذلك لِقلَّةِ الاعتداد بها[8].

الإذراءُ: التَّخلّي عن الشَّيء مع إهماله، والتَّركُ مع عدمِ التَّعلُّق

(1) الخازن، لباب التأويل: 2/217.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/89.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/239.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/209.
(5) القونويّ، حاشيّة القونويّ، على البيضاويّ: 8/422.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/440.
(7) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 7/4211.
(8) الخليل، العين، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المُؤَصَّل: (وذر).

وأمّا التَّرك؛ فهو "مفارقة الشَّيء ما كان يعلقُ بهِ، فيبقى بلا حاجةٍ إليه، فمن المفارقةِ: ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النّساء: 7]، أي: ممّا خلَّفوه من المالِ، وذهبوا، ثمَّ أُطلق في التَّخلّي عن الشَّيءِ وعدم التَّعلُّق بهِ، وعلى مجرَّدِ إبقائهِ على حاله دون مساسٍ بهِ، كأن لا علاقةَ لهُ بما يملكُ أمْرَهُ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: 36]"[1].

والخلاصةُ: أنَّ الإذراءَ: تركٌ مع إهمالٍ، والتَّركُ: التَّخلّي عن الشَّيءِ، وعدمُ التَّعلُّق به، فاصطفى الإذراء تناسبًا مع سياقِ الاستفهام الإنكاريِّ.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: 1/153، و152.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»